



خطبة صلاة الجمعة 2025/9/26 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (من جبر جبر)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى رحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ [الضحى:

11-9]

قال البقاعي في نظم الدرر: (تشير الآيات إلى أن جبر الخواطر واستتلاف الخلق من أعظم المقاصد في تمام الدين).

أخرج الإمام الترمذي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدين: «اللهم اغفر لي، وارحمي، واجبرني، واهدني، وارزقي».

يقول الإمام سفيان الثوري: (ما رأيت عبادة يتقرب بها العبد إلي ربه مثل جبر خاطر أخيه المسلم).

عنوان خطبة اليوم: من جبر جبر

أيها الإخوة:

الجزء من جنس العمل، هذه سنة إلهية جرى ذكرها في القرآن والسنة والحياة، سمعناها وقرأناها ورأيناها.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17] الجزء من جنس العمل

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5] الجزء من جنس العمل

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60] الجزء من جنس العمل

«مَنْ نَقَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُفْرَةٌ مِنْ كُفْرِ الدُّنْيَا نَقَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُفْرَةٌ مِنْ كُفْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» [مسلم]

«مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا، أَقَالَهُ اللَّهُ عَشْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [ابن ماجه]

«مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضٍ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [أحمد]

وكل هذه النصوص تقول بأن الجزاء من جنس العمل.

ومن ذلك مَنْ جَبَرَ خَوَاطِرَ النَّاسِ وَكَسَّرَهُمْ جَبَرَ اللَّهُ خَاطِرَهُ وَكَسَّرَهُ، فَمَنْ جَبَرَ جُبِرَ وَمَنْ كَسَّرَ كُسِرَ. "جبر الخاطر" مصطلحٌ يعني العطف على المحتاج، والعون للمُصاب، والسعي لإدخال السرور على قلبيهما.

وَجَبَرَ خَاطِرَهُ إِذَا سَلَّاهُ وَعَزَّاهُ وَفَرَّجَ الْغَمَّ عَنْهُ، وَجَبَرَ خَاطِرَهُ إِذَا طَيَّبَ قَلْبَهُ وَتَدَارَكَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرِهِ. الحزين محتاجٌ إلى من يجبر خاطره بكلمةٍ حانيةٍ، والفقير محتاجٌ إلى من يجبر خاطره بنفقةٍ كافيةٍ، والمريض محتاجٌ إلى من يجبر خاطره بدعاء العافية، والمظلوم محتاجٌ إلى من يجبر خاطره بشفاعَةٍ وافيةٍ، والمسكين محتاجٌ إلى من يجبر خاطره بزيارةٍ شافيةٍ.

عندما يُقضى الدين عن المدين ينجبر خاطره، وعندما تصل المسافر رسالةً أو مهاتفةً ينجبر خاطره، وعندما تفتح للمهموم باب الأمل وتؤمِّله بالفرج ينجبر خاطره، وعندما تعين أرملةً أو مسكيناً أو يتيماً تُجَبِّرُ خَوَاطِرَهُمْ.

وفي القرآن والسنة دعوةٌ عريضةٌ لجبر خَوَاطِرِ النَّاسِ مِنْ حَوْلِكَ.

من ذلك قوله تعالى في سورة النساء متحدثاً سبحانه عن جلسة توزيع الإرث على المستحقين: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: 8]، تقول الآية الكريمة: إذا حضر الفقراء من القرابة الذين لا يرثون، واليتامى والمساكين، جلسة توزيع الإرث فالمستحب أن يُقسَمَ لهم شيءٌ إحساناً بهم، وجبراً لكسرهم، وتطيباً لخاطرهم، وتأنيساً لهم من انكسار رؤية الأموال تُقسَمَ في غيرهم. وإذا كان مال المتوفى قليلاً فَيُعْتَدَرُ إِلَيْهِمْ بطيب القول.

روي أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قَسَمَ ميراث أبيه فلم يترك في الدار أحداً إلا أعطاه.

وإنها لعادةٌ جميلةٌ اعتادها آباؤنا ورجالنا من هذ الآية فكلما وزعوا على أولادهم شيئاً من المال وكان في الحاضرين طفلٌ من غير أبنائهم أعطوه شيئاً يسيراً أو كثيراً جبراً لخاطره، وكلما وزع معلمو القرآن ومعلمائهُ الهدايا على الطلاب الحافظين لمقرراتهم حَرَصُوا ألا يخرج طالبٌ إلا بهديةٍ ولو يسيرةً، جبراً لخاطر الجميع ودفعاً للضعائن بين الطلاب.

ومن لم يُرد أن يرضخ لغير المستحقين، وزّع هداياه في وقت لا يحضره غيرُهم. فقسمتك لمن حضر القسمة من المحتاجين جبرٌ لخاطره وتطبيب.

وفي السُّنة دعوةٌ نظريةٌ وعمليةٌ لجبر خواطر الناس من حولك، فكم قرأنا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الداعيةً إلى زيارة المريض ومواساة المصاب وكفالة اليتيم وإعانة المدين والتصدق على الفقير وبر الكبير والعطف على الصغير، ولين القول وصلاح الفعل وحسن الخلق. وكل هذه الفِعال جبرٌ لخواطر الناس.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عاد مريضاً نادى منادٍ من السماء: طِبَتْ وطاب ممشاك، وتبوأَتْ من الجنة منزلاً» [ابن ماجه]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مؤمنٍ يُعزِّي أخاه بمصيبةٍ، إلا كساه الله سبحانه من حُللِ الكرامة يوم القيامة» [ابن ماجه]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منّا من لم يوقِّر الكبير، ويَرَحِّم الصغير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر» [أحمد]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشْفَعُوا تُوجَرُوا» [البخاري]

وهكذا تتتالي الأحاديث النبوية داعيةً إلى خصال جبر خواطر الناس، وقد كان صلى الله عليه وسلم يجبر خاطر من حوله كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ففي ابن ماجه عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض، ويُشيع الجنزة، ويُجيب دعوة المملوك، وإن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة، في حاجتها».

وفي شعب الإيمان عنه رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافح رجلاً لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع، ولا يصرف وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرف».

أيها الإخوة:

هل جاءكم خبر ماكينة أم جميل، ودواء أم محمد!

أمّا ماكينة أم جميل:

فقد عرّضت أرملةً دمشقيةً تُكنى بأم جميل ذات ثلاثة أيتامٍ على السيد هيثم مالكٍ مشغلٍ الخياطة، أن تؤجّره ماكينة خياطة كان زوجها المتوفى يعمل عليها في حياته، لتفيد من الأجرة في النفقة على نفسها وأيتامها، ولم يكن هيثم محتاجاً لذلك ولكنه أراد ألا يكسر بخاطرها، فطلب إليها إحضار الماكينة، ففعلت، وزاد زهده بها لما رأى نوعها القديم وعدم صلاحيتها للعمل في مشغله، ولكنه أراد جبر المرأة والأيتام، فسألها عن الأجرة المطلوبة فأخبرته، فوافق.

ركن الرجل الماكينة في زاويةٍ من زوايا مشغله، بينما كانت المرأة تأتي في كل مطلعٍ شهرٍ لاستلام أجرتها. ومرت سنوات طويلة على ذلك، وانتقل المشغل من مكانٍ لآخر وتحوّل إلى معملٍ كبيرٍ، وهيثم في كل ذلك يصطحب ماكينة أم جميل معه.

وكم من مرة أخبرته مديرة المعمل أن يستغني عن هذه الماكينة لأنها لا تنفع في شيءٍ وتأخذ حيناً من المكان ولكنه كان يخبرها بأنه مهتمٌّ لأمر الماكينة ويأمرها بتركها في إحدى زوايا المشغل ثم المعمل.

مع بداية الثورة بالشام انتقل الناس من مكانٍ لآخر وتضررت المنطقة التي فيها معمل الخياطة وخرج الناس منها، ولم تعد أم جميل تأتي لاستلام الأجرة، وكان هاتفها خارج التغطية في كل مرة يتصلون بها، وسافرت مديرة المعمل مع زوجها إلى بلد أوربي.

لقد تضررت منطقة المعمل، ولم يعد السيد هيثم قادراً على الوصول لمعمله.

بعد أشهرٍ من سفرها اتصلت به مديرة المعمل السابقة لتقول له: إنها رأت رؤيا غريبةً تريد أن تقصّها عليه، فسألها عن الرؤيا، فقالت: سمعت في رؤيا هاتفاً يقول لي: قولي لهيثم ببركة ماكينة أم جميل حفظنا لك معملك.

وبالفعل عندما استطاع هيثم الوصول إلى معمله تفاجأ بأن معمله لم يُصَب بمكروه ولم تُفقد إبرةٌ من داخله.

إن من مشى بين الناس جابراً للخواطر سلّمه الله في جوف المخاطر، ومن جبر جُبر.

هذا عن ماكينة أم جميل، وأمّا دواء أم محمد:

ففي إحدى صيدليات المدينة كانت امرأةٌ عجوزٌ بثياب رثةٍ تُكنى بأم محمد تشتري دواءها في كل شهر، كانت المرأة تأخذ الدواء من الصيدلي وتذهب إلى محاسب الصندوق لدفع ثمنه.

إنه شابٌ بشوشٌ لطيفٌ خلوقٌ، كلما رآته استبشرت، فهي تشتري هذا الدواء من سنين وهذا الشاب يستلم منها ثمنه عشرين ديناراً.

توفي الشاب محاسب الصندوق، وحزن أصدقاؤه في الصيدلية لفقده، ولكنه قضاء الله بعباده وقدره المكتوب عليهم.

عادت الحاجة أم محمد للصيدلية وطلبت دواءها وذهبت للصندوق لتدفع العشرين ديناراً.

لكنها لم تجد المحاسب، وقيل أن تسأل عنه، قال الشاب محاسب الصندوق الجديد: ما هذا يا خالة؟

قالت: هذه عشرون ديناراً ثمن الدواء؟

رد عليها: لكن هذا الدواء ثمنه مئتا ديناراً؟!

قالت بتعجب: لكن من أكثر من ثلاث سنين وأنا آخذه بعشرين ديناراً من الشاب الذي كان

مكانك، أين هو؟

رد عليها الشاب: توفاه الله يا خالة منذ أيام -رحمه الله-.

وبعد مراجعة الدفاتر تبين أن ذلك الشاب كان يُسدد عنها مئةً وثمانين ديناراً شهرياً من راتبه في

الصيدلية، ويأخذ منها العشرين التي ظن أنها تقدر عليها ولا يخبرها بذلك لكي لا تُكسر أمامه.

بعد علم صاحب الصيدلة بالأمر قرر استمرار البيع لهذه السيدة بنفس السعر صدقةً جاريةً على روح

ذلك الشاب.

أيها الإخوة:

القرآن والسنة يقولان ويُصدِّقهما الواقع بأن من جَبَرَ جُبِرَ، ومن مشى بين الناس جابراً للخواطر أدركه

الله في جوف المخاطر، ومن فَرَّجَ عن أخيه كربة فَرَّجَ الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، فالجزاء من جنس

العمل.

فَجِدُّوا في فعل الخير، واجتهدوا في غرس البرِّ، وأعينوا من استطعتم من خلق الله فإنه من جَبَرَ جُبِرَ.

والحمد لله رب العالمين